مجلة
البحوث الإعلامية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

رئيس مجلس الإدارة :

الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

رئيس التحرير :

الأستاذ الدكتور / حمدى حسن محمود

سكرتيرو التحرير :

د / محمود عبد العاطى مسلم

د / عبد العظيم إبراهيم خضر

د / محمد شعبان وهدان

د / أحمد منصور هيبه

المشرف الفنى

محمود حسن الليثى

المراسلات

توجه باسم الأستاذ الدكتور / رئيس التحرير على العنوان التالى :

جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالقاهرة قسم الصحافة والإعلام - تليفون ٥١٠١٤٦٦

هيئة المحكمين

الأستاذة الدكتورة/ جيهان رشتى

الأستاذ الدكتور/ فاروق أبو زيد

الأستاذ الدكتور/ محيى الدين عبد الحليم

الأستاذ الدكتور/ كرم شلبى

الأستاذ الدكتور/ على عجوه

الأستاذة الدكتورة/ ماجى الحلوانى

الأستاذة الدكتورة/ ليلى عبد المجيد

الأستاذ الدكتور/ أشرف صالح

الأستاذ الدكتور/ عدلى رضا

الأستاذ الدكتور/ حسن عماد

جميع الآراء الواردة فى هذه المجلة تعبر عن رأى صاحبها ولا تعبر عن رأى المجلة

العدد التاسع

يوليو ١٩٩٨

الاتجاهات الحديثة فى بحوث

الصورة الذهنية للعالم الإسلامى عند الغربيين

دكتور

مرعي مدكور (*)

« الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا .. »

كيبلينج

(شاعر إنجليزى - القرن ١٩)

« إن جهل الغرب بالعرب والإسلام

يشبه جهل سجين يسمع شائعات حول الأحداث الجارية فى الخارج

ويحاول أن يصوغ ما يسمعه بمساعدة آرائه التى كونها مسبقاً »

ر. و. سوذرن Southern

« مؤرخ بريطانى »

عشرات الكتب ومئات الدراسات وآلاف المقالات الغربية التى تتناول العالم الإسلامى بشكل عام ؛ سنوياً ، لا تخرج فى مضامينها - غالباً - عن تقديم صورة نمطية Stereotype مقولبة ومترسخة عبر مئات السنين لهذا العالم ، تستهدف الاغتيال المعنوى للشخصية المسلمة بتقديمها فى صورة سلبية ودون المستوى الطبيعى والمتعارف عليه للإنسانية ... فالعالم الإسلامى على اختلاف مواقعه وخصائصه (أسيوى / عربى / أفريقى / غربى) [١] وعبر الأزمان المختلفة ، يمثل بالنسبة للغربيين مجتمعاً إسلامياً واحداً ، وعقلاً واحداً ، ونفساً شرقية واحدة ، حتى أولئك الذين تخصصوا فى دراسة العالم الإسلامى - من مستشرقى الغرب « يستخدمون بصورة إرجاعية ، نصوصاً كالقرآن ليتعرفوا على كل وجه من وجوه الحياة المعاصرة فى المجتمع المصرى أو الجزائرى » [٢] وقد تشكلت هذه الصور الذهنية Image غير السوية عن العالم الإسلامى وترسبت فى عمله

(*) أستاذ الصحافة المساعد - كلية اللغة العربية - سابقاً .

نمزجة وقولبة Stereotyping منذ أن تنامت بذرة العداء المسيحي للإسلام والعرب مع الفتوحات العربية التي امتدت إلى الهند (٦٦٤م) وقرطاجة (٦٩٧م) وأسبانيا (٧١١-٧١٧م) حتى موقعة Tours التي أوقفت المد الإسلامي في أوربا لينسحب العرب إلى أسبانيا ، وأهم من ذلك حصار القسطنطينية عام ٦٦٩م ثم حصارها مرة أخرى في ٧١٦ و ٧١٧م وصمود الامبراطورية البيزنطية مع تناقص أراضيها ، حتى استولى الأتراك العثمانيون على المدينة في ١٤٥٣م [٣] فخلال ما يزيد على ألف وثلاثمائة عام « كان الإسلام والعالم الأوربي في مواجهة شبه دائمة . وكانت العلاقات مع الغرب تقف موقف الإنكسار الضيق مع الدين الإسلامي ومن ينتمي ، وهو موقف لازال الغرب يحتفظ به إلى اليوم » [٤] وقد أورثت هذه المواجهات الغرب « عدوانا وكراهية ورهبة وخوفاً من الإسلام » [٥] رغم الحملات التي شنها الغرب على ديار المسلمين ، والتي عرفت بالحملات الصليبية [*] تلك الحملات التي رفعت راية الصليب لتعطي الحق للصليبيين في حروبهم الاستعمارية وتبريرتهم من تهمة الجشع ، ثم استخدامهم كلمة « حضارة » في العصور الحديثة بدلاً من « المسيحية عند الأحفاد الملحدين للصليبيين القدامى » [٦] . وكانت طلائع المستشرقين مع تلك الحملات على بلاد المسلمين منذ العصور الوسطى كصورة متعصبة من أجل الكيد للإسلام » [٧] . ورغم مرور مئات السنين على هذه المواجهات الجماعية المباشرة ، إلا أن « النظرة إلى الإسلام في الغرب فيها كثير من الحذر والتخوف ، حيث الرهائن وسفك الدماء » [٨] وسادت هذه النظرة حتى من المتخصصين أنفسهم الذين يعترفون علناً بأن « صورة المسلمين تشوهت في السنوات الأخيرة أكثر من العرب » [٩] رغم الحرب الثقافية الضروس التي ما تزال تشن على العرب والإسلام - معاً - في أمريكا وأوربا [١٠] .

ولكن :

- ما الصورة الذهنية ؟ وما أهميتها ؟
- وما الذي تقوم به وسائل الإعلام في صنع هذه الصورة ؟
- وما تأثير هذه الصورة على العلاقات الإسلامية / الغربية ؟
- وما أهم المؤثرات التي رسخت هذه الصورة الذهنية Image عن المسلمين بشكل عام حتى تقولبت وصارت مترسخة ونمطية Stereotype عند الغربيين بشكل عام ؟

ماهية الصورة الذهنية وأهميتها :

منذ أن حدد W. Lippmann مفهوم الصورة الذهنية Image في كتابة Puplic opinion عام ١٩٢٢ : والاستخدامات المتعددة لهذا المفهوم تتراوح بين معان متقاربة . منها أنها « تصور عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة . يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص بعينه أو شئ بعينه » وأنها « تعكس الواقع . إذ تحمل المعلومات عن هذا الواقع - أشياء أو أشخاصاً أو موضوعات - إلى العقل الإنساني الذي لا يواجه هذا الواقع أو الأشخاص أو المواقف أو الموضوعات بشكل مباشر . وإنما يواجهه بشكل غير مباشر » وهي بهذا المعنى - الصورة الذهنية - تتلخص في أنها مجموعة معارف الفرد أو الجماعة ومعتقداتها التي تحتفظ بها عن ذاتها وعن العالم الذي تعيش فيها [٩٩] .

وتكمن أهمية الصورة الذهنية في أنها تتصل اتصالاً وثيقاً بالاتجاهات وأنواع السلوك التي يتعامل بها الفرد (أو الجماعة) مع الموضوعات والقضايا والآخرين في الحياة، وهذه الصورة الذهنية ليست جامدة لكنها تتغذى بما تقدمه وسائل الإعلام وبالاتصال بأنماطه المتعددة حتى تصبح مع الإلحاح الاتصالي في اتجاه معين - عملية قطبية مقولبة ومنمذجة Stereotyping جاهزة الصنع . وأيضاً جاهزة في ردود أفعالها دون النظر إلى التغير الفعلي تجاه الموضوع أو الشخصية أو الجماعة التي تكونت عنها هذه الصورة المترسخة .

ما تقوم به وسائل الإعلام في صنع الصورة الذهنية :

تعد وسائل الإعلام الجماهيرية ذات تأثير كبير في صنع الصورة الذهنية لدى الأفراد والجماعات - وذلك من خلال ما تقدمه من مواد إعلامية عن أنماط الحياة في المجتمعات المتعددة والمختلفة - بنقلهم من عالمهم الضيق والمعاش إلى عوالم أرحب وأوسع . إذ تعد الوسائل الإعلامية الامتداد الطبيعي لأبصارنا وأسماعنا . ورغم أهمية التجارب الحية والمباشرة في تكوين الآراء والاتجاهات عن الآخرين . إلا أنه لا مفر من الاعتماد على وسائل الإعلام .

فإذا كانت الخبرات المعاشة تنقل إلى الفرد أو الجماعة صورة ذهنية عن واقع «ما» إلا أن استحالة أن يكون الفرد في وقت واحد في مكانين مختلفين - أو أكثر - جعل الاعتماد على وسائل الاتصال الجماهيرية . التي تنقل العالم إلينا بمجرد إدارة قرص راديو أو مؤشر تليفزيون . ضرورياً في عالمنا المعاصر متشابك المصالح .. فوسائل الإعلام

الجماهيرية تعد - إذن - من أهم وسائل تكوين الصورة الذهنية وصناعتها . ويتراكم هذه الصور الذهنية بالإلحاح والتكرار على موضوعات أو قضايا أو اتجاهات بعينها ، تترسخ هذه الصورة الذهنية وتتحول إلى صور نمطية متقولبة ومتطبعة ومن الصعب تغييرها على المدى القصير .

ويعترف خبراء الإعلام بأن « وسائل الإعلام الجماهيرية في العالم العربي تشكل رؤى للواقع وتضع أولويات بعينها . وهي ناجحة بصورة مذهلة في أن تملي على القراء ماذا يفكرون فيه ، فوسائل الإعلام هي التي تصنع جدول الأعمال ، وأنها بالتأكيد تلعب دوراً في عملية تعليم الجماهير وفي تكوين الرأي العام [١٣] . ولعل نظرية المعالجة المعلوماتية Information Processiug Theory تؤكد على أن الأشخاص لديهم وجهات نظر مترسخة ومتقولبة حول بعض الأفكار أو الأشخاص أو القضايا . وهذه الصور الذهنية المترسبة ستساعدهم على تفسير ما يدور حولهم وما يتلقونه من معلومات [١٤] كما أن نظرية ترتيب أولويات الاهتمام Agenda-Setting توضح أن وسائل الإعلام هي التي تحدد للجماهير ما يفكرون فيه وتوحي لهم أن ما يقرأونه أو يشاهدونه عبر هذه الوسائل الجماهيرية يعد أكثر أهماماً من غيره .. كما أن هذه الأفكار المترسخة والتي تلم بها الوسائل الإعلامية الجماهيرية « تجعل الشخص يتجاهل المعلومات التي لا يتفق معها ويختار منها المعلومات التي تعزز وجهات النظر المترسبة » [١٥] وأن عملية التغيير لهذه الأفكار المنمطة والمترسبة تتطلب جهداً كبيراً .

من هنا تأتي أهمية ما تثيته وسائل الإعلام الجماهيرية ، وبخاصة إذا كان محتوى هذه الوسائل يصب في اتجاه واحد نحو اغتيال الشخصية الإسلامية .

ما تأثير الصورة الذهنية للغربيين عن الإسلام في العلاقات « الإسلامية / الغربية » ؟

في استطلاع للرأي أجرته مؤسسة « ايسوس » في فرنسا ، بمناسبة مرور ١٠ سنوات على تأسيس معهد العالم العربي في باريس ، اتضح أن ٦٤٪ من عينة الدراسة تعتقد أن الأوضاع السياسية في العالم العربي تعوق انتشار الثقافة العربية في فرنسا !!! ورداً على سؤال عن الشخصية التي يعرفها أفراد العينة من الذين ينتمون إلى الثقافة العربية ذكر ٥٢٪ من الفرنسيين الذين شملهم الاستطلاع اسم المغني الجزائري الشاب خالد (خالد دبدى) وياسر عرفات بنسبة ٩٪ وصدام حسين بنسبة ٥٪ [١٦] ..!!

وفي دراسة ميدانية عن صورة المملكة العربية السعودية في أذهان الكنديين [١٧] اتضح أن أغلب أفراد العينة (وجميعهم يحمل ما يعادل الشهادة الثانوية فأعلى) لا يعرف موقع المملكة على خريطة العالم ..!! وأن ١٢٪ فقط من العينة يذكرون الإسلام عندما يذكر اسم المملكة . أما الباقون فيتذكرون حرب الخليج (١٥٪) والنفط (١٢٪) والصحراء (١١٪) ، وبلد خليجي ، ولوراس العرب «فيلم» ، والإرهاب والقسوة ، وعدم احترام النساء .. الخ !!

رغم أن هذه الدراسة الميدانية أجريت حديثاً (صيف ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) على عينة متعلمة من دولة غير استعمارية وتعد الثانية في العالم من حيث المساحة ، وبعد حدث عالمي شاركت فيه دول متعددة كثيرة : هو حرب الخليج الثانية : الكويت / العراق ..!!

إن خطورة هذه الصور الذهنية والنمطية لدى الغربيين عن العالم الإسلامي أنها ذات دلالة مهمة في عملية صنع القرارات [١٨] وهي بجانب السمات الوراثية والانتماء الديني والبيئة الاجتماعية والاقتصادية والخبرات الذاتية - تشكل أهم مصادر تكوين الرأي العام [١٩] ويوضح هذا أن طبيعة المعلومات السياسية تشير إلى أن اهتمام أوربا - مثلاً - بالعلاقة مع العالمين : العربي والإسلامي واستراتيجيتها في الحوار بين الحضارات « قائمة على ردة الفعل لمواجهة التحديات التي تخافها في العالمين : العربي والإسلامي ، وليس على علاقة استراتيجية ذات أبعاد حضارية ومضمون قيمي وأخلاقي وروحي .

ولقد وصل الأمر لدرجة اعتبار الغرب أن الثورة الايرانية ما هي إلا « مجرد إحياء للقيم التقليدية العفنة ، وأنها تتشابه أكثر من أن يكون سطحياً مع النازية الأوربية » [٢٠] !!.

وهكذا فإن أعين الغرب على الإسلام حتى في الدول التي لم يصل فيها الإسلام إلى السلطة بشكل مباشر ، فالإسلام - في رأي الغرب - يشكل خطراً على الديمقراطية في هذه الدول ، بل أن الإسلام بشكل أحد عناصر تحدي العراق (في أزمته الأخيرة مع الغرب) للغرب ، حيث يجد الغرب صعوبة في تخيل عالم أفضل بكثير من عالمه أو تخيل مستقبل ليس ديمقراطياً ورأسمالياً [٢١] على شاكلته ، ومن هنا كانت هذه الغضبة الغربية لأن «بلداً صغيراً غير أبيض أزعج أو أغاظ أمة عظمى مشحونة نجاة بالجبروت منفوخة بحمياً لا يرضيها إلا أن يذعن لمشيئتها ويخضع لها الشيوخ والطغاة وفرسان سباق الجمال» [٢٢] .

ورغم أهمية الصورة الذهنية خاصة إذا تكرر الإلحاح عليها وتحولت إلى صورة منطبعة Steryotype ، إلا أن هذا لا يعفي الغرب من التحيز المسبق مع سبق الإصرار والترصد ضد المسلمين ، خاصة في ظل « انفجار المعلومات Information Explosion أو فيضان المعلومات Information Flowed واتساع النشاط الإنساني » [٢٣] وظهور شبكات إعلامية تتابع الأحداث بالتزامن مع وقوعها مثل شبكة CNN الأخبارية وغيرها من عشرات المحطات الفضائية الأجنبية والعربية ، إضافة إلى وسائل الإعلام الجماهيرية الأخرى التي جعلت العالم - على اتساعه - قرية كونية صغيرة .

أهم المؤثرات التي رسخت الصورة الذهنية السلبية عن المسلمين لدى الغربيين :

الصورة السلبية جداً عن مصر والمصريين ، والتي تضمنتها إحدى النشرات الدورية الخاصة بالسفارة الأمريكية هذه الأيام في مصر [٢٤] ليست وليدة الساعة أو المشاهدة ، وإنما تعد امتداداً لما أسماه جورج واشنطن « العدواة التقليدية للأمريكيين تجاه العرب » [٢٥] هذه العدواة التي ترسخت في الغرب بشكل عام منذ مئات السنين ، ولم يفلح في تعديل هذه الصورة ما يملكه الغرب - خاصة أمريكا - من تقدم تكنولوجي في مجال المعلومات بداية من شبكة التليفزيونات بعيدة المدى حتى الإنترنت والذي يوصف بأنه « طريقة المعلومات فائقة السرعة » [٢٦] Information Superhigh Way وبما يملكه من شركات عابرة القومية ، إذ يعترف الغربيون أنفسهم بأن هذه الشركات - الإعلامية - « أدوات إضافية لتنفيذ السياسة الخارجية للدولة الأم » [٢٧] حتى بحوث الاتصال - المفروض أنها علمية - تسير في محاذاة نظام الشركات التي يمول معظمها ، فضلاً عن ارتباطها بالنظام الوطني بشكل مباشر [٢٨] .

وتكمن أهم مؤثرات صنع هذه الصورة السلبية عن المسلمين بشكل عام ، والعرب بشكل خاص : لدى الغربيين في التالي :

(١) المواجهة بين الإسلام والغرب :

فقد « تنامت بذور العداء المسيحي للإسلام والعرب مع الفتوحات العربية الإسلامية لبيزنطة وأوربا خلال القرنين الثامن والعاشر الميلاديين عندما تجاوزت جيوش المسلمين بيزنطة لتصل إلى أسبانيا وجنوب إيطاليا والغال الجنوبي » [٢٩] ثم محاولة العثمانيين الاستيلاء على فيينا عام ١٦٨٣م وتهديدهم أوربا من جديد [٣٠] وقد أخذت هذه الموجهات ردوداً عنيفة تمثلت في عدة صور منها :

الحروب الصليبية : التي استمرت (منذ عام ٤٩٠ - ٦٨٦هـ / ١٠٩٥ - ١٢٩١) في موجات متلاحقة على النحو التالي [٣١] :

- الحملة الصليبية الأولى : ٤٩٠ - ٤٩٣هـ / ١٠٩٦ - ١٠٩٩م .
- الحملة الصليبية الثانية : ٥٤٠ - ٥٤٣هـ / ١١٤٦ - ١١٤٨م .
- الحملة الصليبية الثالثة : ٥٨٥ - ٥٨٨هـ / ١١٤٦ - ١١٩٢م .
- الحملة الصليبية الرابعة : ٥٩٨ - ٦٠٠هـ / ١٢٠٢ - ١٢٠٤م .
- الحملة الصليبية الخامسة : ٦٥١ - ٦١٧هـ / ١٢١٩ - ١٢٢١م .
- الحملة الصليبية السادسة : ٦٢٥ - ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ - ١٢٢٩م .
- الحملة الصليبية السابعة : ٦٤٦ - ٦٥٢هـ / ١٢٤٨ - ١٢٥٤م .
- الحملة الصليبية الثامنة : ٦٦٥ - ٦٦٨هـ / ١٢٦٧ - ١٢٧٠م .

وكانت تتجدد هذه المواجهات بين حين وآخر ، وأعنفها سقوط القسطنطينية على يد الأتراك ، وصولاً إلى الثورة الإيرانية عقب عودة الخميني من منفاه في الأول من فبراير ١٩٧٩م وتفكيك إيران (الدولة العلمانية الموالية لأمريكا) وإنشاء دولة إسلامية ، ثم المواجهة الإيرانية / الأمريكية باستيلاء الطلبة العسكريين على السفارة الأمريكية في طهران بمن فيها من الدبلوماسيين في الرابع من نوفمبر ١٩٧٩م (وهي الأزمة المعروفة بأزمة الرهائن الأمريكيين التي تم حلها في يناير ١٩٨١م بمعرفة رئيس الوزراء محمد علي رجائي) [٣٢] . ومنذ ذلك وحتى اليوم تعد أية كتابة عن « الإسلام » بالنسبة للأمريكيين إثارة لجرح الرهائن ، وإثارة للصدمة المريرة من جراء التنديد الإيراني بالولايات المتحدة ووصفها بـ « الشيطان الأعظم » ذلك أن الوجه السلبي لهذه الأحداث المعاصرة عكسه الإعلام الأمريكي مما آثار ميراثاً تاريخياً من البغضاء والكراهية [٣٣] من جهة الغربيين للمسلمين بشكل عام .

(ب) الاستشراق :

رغم أن الاستشراق يفترض أنه علم دراسة الشرق من جهة الغربيين [٣٤] إلا أنه - كعلم - لم يقدر أن يحرر نفسه من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتي العقيم الذي انبثق منه هذا العلم ، لدرجة أن صورة العصور الوسطى للإسلام قد ظلت في جوهرها دون تغيير في نظر أغلب المستشرقين حتى هذا العصر [٣٥] وتخدم وسائل الإعلام الغربية هذا الوضع

فتخلط بين الإسلام كدين وبين الوضع المتردى للعالم الإسلامى . كما تؤكد على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام مثل : البهائية . والقاديانين . والكيدانية وغيرها . وينظر إلى أصحابها على أنهم أصحاب فكر تحررى ثورى [٣٦] وقد بدأ الإستشراق فى أوربا نفسها عندما كان العرب يحكمون أرجاء كثيرة من شبه جزيرة أيبريا « الأندلس » وفى فرنسا وإيطاليا وصقلية وجزر البحر المتوسط كعدا . تقليدى للإسلام وللكيد له ومحاولة النيل منه خوفاً من أن يتسلل هذا الدين إلى ربوع أوربا [٣٧] فكان الإستشراق بمثابة الهدم المعنوى للإسلام بعد فشل المواجهة المباشرة معه حيث عمل هذه الاستشراق على [٣٨] :

- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه وإبرازها والزعم أنه مأخوذ من المسيحية واليهودية . والإنقاص من قيمته .

- حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة .

التبشير وتنصير المسلمين :

وقد بدأ الاستشراق المتعصب بشكل منظم بترجمة معانى القرآن الكريم لأول مرة عام ١١٤٣م إلى اللغة اللاتينية بترجيه من الأب بيتروس قبترا بيلس رئيس دير كلونى [٣٩] وقد ظلت هذه الترجمة الخطية محفوظة فى صومعة الراهب بطرس طيلة أربعة قرون حتى ظهرت المطابع فتم طبعها عام ١٥٥٣م فى مدينة بازل . وتوالت الترجمات حتى وقتنا هذا . ثم قرار مجمع فينا الكنسى عام ١٣١٢م . وقرار إنشاء كرسى للغة العربية فى جامعة كامبردج بعد ذلك بأكثر من ثلاثة قرون وصولاً إلى تأسيس مجلة العالم الإسلامى The Muslim World عام ١٩١١ عن طريق صمويل زويمر رئيس المبشرين فى الشرق الأوسط خدمة للعمل الدينى المسيحى .

(جـ) الرحالة الغربيون إلى الشرق :

فقد صور هؤلاء الرحالة الشرف المسلم كما رأوه من وجهة نظرهم . إذا كان كل منهم يرى الأشياء بطريقته الخاصة ولقد عبرت جميع زيارات الغربيين : أو فُرض عليها : أن تعبر على نحو معين . بحيث يجابه الشرق من جهة هؤلاء الغربيين ويحسب للإسلام حسابه [٤٠] .

ويقول شاتو بريان « ذهبت أبحث عن الصور . هذا هو كل شئ » [٤١] والحال نفسه

مع أغلب الرحالة من الفنانين والأدباء : فلوبير ودزرائيلي وفيني ولورانس وغيرهم ممن كانوا يبحثون عن غرائب مدهشة ذات جاذبية خاصة . فأغلب ما كتبه هؤلاء مجرد تفسيرات وتأويلات تسئ إلى الشرق والمسلمين بشكل عام [٤٣] .

(د) التأليف الأدبي :

ويعد التأليف الأدبي لدى كثير من الغربيين - خاصة عند تناول الشرق والإسلام - امتداداً للصورة الذهنية السلبية عن هذا العالم . وقد اعتمدت أعمال كثيرة ذائعة الصيت في ما تقدمه عن المسلمين : على ما ذكره بعض الرحالة والمستكشفين أو على كتابات المستشرقين وغيرهم . أو على خيالات لا تمت إلى الواقع بصلة : ومن أبرز هذه الأعمال :

- الكوميديا الإلهية لدانتي (١٢٦٥-١٣٢١م) والذي وضع النبي - صلى الله عليه وسلم - خلال عمله في قاع الجحيم نظراً لتمرده على المسيحية [٤٣] !!
- مؤلفات نيقوس كازانتزاكيس .
- آيات شيطانية لسلمان رشدي .

وعيب هذه الكتب أنها تمس الوجدان الأدبي وتتركز بصورة غير مباشرة في أذهان قارئيها . وبالتالي تكون الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين التي تتضمنها قابلة للانتقال من أجيال إلى أخرى على مدى الأزمان .

(هـ) رغبة الغرب في السيطرة وبسط النفوذ [٤٤] :

وهذه الرغبة الملحة من دول استعمارية تعمد إلى تشويه صورة العرب والمسلمين بشكل عام وتتعتهم بالتخلف تبريراً لاستعمارها هذه الدول أو محاولتها فرض وصايتها بشكل أو بآخر : اقتصادياً / ثقافياً ... الخ .

(و) الواقع المعاصر للدول الإسلامية :

فمن أسباب تردي الصورة الذهنية لدى الغرب عن الإسلام والمسلمين ما آل إليه عالمنا الإسلامي و « التمزق الذي حل به وجعل صورتنا في أعين غير المسلمين ترتبط بالصراع والصدام والانقسام المذهبي أحياناً والاختلاف السياسي أحياناً أخرى » [٤٥] .

(ز) الدعاية المضادة للعالم الإسلامي :

مثال ذلك ما تروجه إسرائيل وبعض الدول الغربية عن المسلمين والعرب بشكل خاص سواء بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق الروايات والمذكرات الشخصية لبعض

المرموقين (***) وبعض ما يكتبه الغربيون سواء عن طريق غير مباشر أو بطريق مباشر وهذه المؤثرات - وغيرها - تعمل مجتمعة ، إضافة إلى بعض السلوك غير الحضاري في بعض الأحايين ، إلى تنميط الصورة الذهنية عن المسلمين بشكل عام في الغرب ، خاصة في العصر الحاضر باعتبار أن الغرب الحديث - رغم صيحات الديمقراطية - « اعتاد أن يكون الذات وغيره الموضوع وأن يكون له رأيه عن الآخر دون أن يكون الآخر له رأيه فيه » (٤٦) على أساس أن هذه الغرب إذا كان قد غرب عن أغلب دول العالم الإسلامي في صورته القديمة (إحتلال / حماية / أحلاف) فإنه مستمر في صورته الجديدة المهيمنة (اقتصادياً/ ثقافياً / قواعد عسكرية) ، وتحت هذه الدعاوى أو غيرها يسعى للتدخل في شئون دول العالم الإسلامي .

أهم مجالات الصورة الذهنية للعالم الإسلامي عند الغربيين :

تتنوع مجالات الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين عند الغربيين فتشمل « المسرح ، والرواية والقصة ، والموسوعات ، والكتل الدراسية ، والأفلام السينمائية ، والإذاعة (راديو/تليفزيون) والصحافة المطبوعة » (٤٧) (صحف/مجلات) والمؤتمرات والندوات العلمية وغيرها حتى استطلاعات الرأي - في أمريكا مثلاً إنما تستخدم بصورة مباشرة وصريحة لإعلاء شأن أمريكا في الخارج (٤٨) .

ويتناول هذا البحث عدداً من أهم المجالات ذات الأهمية الكبيرة في توضيح مدى ترسخ الصورة الذهنية السلبية لدى الغرب عن الإسلام والمسلمين بشكل عام والعرب بشكل خاص .

وهذه المجالات هي :

١ - الدراسات الاستراتيجية :

وتمثلها مقاله The Clash Of Civilizations لصامويل .ب. هانتجتون .

٢ - الدراسات الميدانية عن صورة الإسلام والمسلمين في الغرب :

وتمثلها دراسة أحمد بن سيف الدين تركستاني « صورة المملكة العربية السعودية في أذهان الكنديين » .

٣ - المؤتمرات الدولية عن الإعلام العربي والغرب:

ويمثلها المؤتمر الدولي السادس حول الإعلام العربي الأوربي (فبراير ١٩٩٨م في البحرين).

٤ - الإبداع الأدبي المعاصر المناهض للإسلام والمسلمين وتمثله «آيات شيطانية» لسلمان رشدي:

وقد تم اختيار هذه المجالات بالتحديد نظراً لحداثتها من جهة ولما قدمته من وجهات نظر تعضد الصورة الذهنية السلبية عن العالم الإسلامي لدى الغربيين بشكل خاص.

١ - الدراسات الاستراتيجية:

تمثل مقالة صامويل ب. هانتجتون Samul P. Huntington التي نشرها بعنوان «صراع الحضارات» في مجلة Foreign Affairs في صيف ١٩٩٣م نموذجاً للتفكير الأكاديمي الغربي تجاه العالم الإسلامي. وتأخذ هذه المقالة أهميتها من عدة جوانب:

- أنها نتاج مشروع معهد أولين عن «البيئة الأمنية المتغيرة والمصالح القومية الأمريكية» فهي ذات طابع استراتيجي وليست مجرد مقالة أو دراسة عابرة
- الشخصية الأكاديمية لمؤلفها باعتباره أستاذ علم الحكم ومدير معهد جون م. أولين للدراسات الاستراتيجية في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية.
- الجدل والضجة الكبيرة اللتان أثارتهما لما تتضمنه من أطروحات عن الإسلام والحضارات الأخرى، وردود الأفعال - عالمياً - حولها في الأعداد التالية من المجلة، وخاصة عدد سبتمبر/أكتوبر ١٩٩٣ والذي تضمن تعقيبات الاختصاصيين، منهم [٤٩]:
- فؤاد عجمي أستاذ دراسات الشرق الأوسط في كلية الدراسات الدولية المتقدمة بجامعة جونز هوبكنز، ص ٢ : ١٠.
- كيشور محبوباني Kishore Mahbubani وكيل وزارة الخارجية وعميد كلية الخدمة المدنية في سنغافورة، ومندوب سنغافورة الدائم في الأمم المتحدة «سابقاً» ص ١٠ : ١٤.
- روبرت بارتلي Robert L. Bartly رئيس تحرير صحيفة The Wall Stereet Journal ص ١٥ : ١٨.
- ليو بنيان Liu Binyan أحد أبرز المنشقين الصينيين ومدير مبادرة الصين ببرنستون/نيوجرسي ص ٩١ - ١٢

- جين ج. كيركباترتك Jeane J. Kirkpatrick أستاذ علم الحكم في جامعة جورج تاون وزميل معهد التخطيط الأمريكي ص ٢٢ : ٢٥ .

إضافة إلى عشرات الكتب ومئات المقالات في العالم الغربي وغيره رداً على دراسة «هانتنجتون» على ما تضمنته من تشويه للإسلام حتى بعد استضافته في المملكة العربية السعودية ومناقشة في أفكاره في مهرجان التراث والثقافة والفنون «الجنادرية» عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م . واتخاذ هذه الدراسة محوراً أساسياً لكتابه «صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي» [٥٠] الذي صدر بعد ذلك .

في هذه المقالة Article يضع هانتنجتون العالم الإسلامي المعاصر موضع العدو البديل للغرب بدلاً من العدو التقليدي «الاتحاد السوفيتي» ويصور العنف والإرهاب على أنهما الإسلام بعينه وأن هذا الإسلام يهدد بقناء حضارة الغرب . ومن هنا فالمواجهة «التالية للغرب سوف تأتي من العالم الإسلامي» (كما يرى أيضاً المؤلف الهندي المسلم M. J. Akbar) وسوف يبدأ الكفاح من أجل نظام عالمي جديد بزحف الشعوب الإسلامي من المغرب إلى باكستان [٥١] وهي النتيجة نفسها التي توصل إليها برنارد لويس Bernard Lewis . الذي يرى أن الصراع على طول الخط بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ ١٣٠٠ عام [٥٢] ليس هذا فقط بل هناك عداوات أخرى بين الحضارة العربية الإسلامية مع الشعوب الوثنية السوداء جهة جنوب أفريقيا . والتي تغلب عليها الآن المسيحية !! إذ كان العرب تجار رقيق . وتنعكس هذه الصور على الحرب الذين تدعمهم ليبيا وبين الحكومة . والصراعات السياسية والاضطرابات المتكررة في نيجيريا . ومن المرجح أن يعزز تحديث افريقيا وانتشار المسيحية على احتمال العنف على طول الخط من جهة المسلمين .!!

هكذا يربط هانتنجتون بين الإسلام وبين التخلف والعنف لدرجة يخلص منها إلى أن «الإسلام له حدود دموية» [٥٣] فالإرهابيون العرب والمسلمون - هكذا بقرر !! - تدعمهم على الأقل ثلاث حكومات شرق أوسطية إلى استخدام سلاح «الضعيف . فزرعوا القنابل في الطائرات والمنشآت الغربية وأمسكوا برهائن غربيين» [٥٤] (يقصد استيلاء الطلبة العسكريين على السفارة الأمريكية في طهران بمن فيها من دبلوماسيين في الرابع من نوفمبر ١٩٧٩م) ووصلت الحرب بين العرب والغرب ذروتها عام ١٩٩٠ (يقصد حرب تحرير الكويت) . أما إخفاق الغرب في حماية المسلمين / ضد الصرب . واخفاقه كذلك في فرض عقوبات على إسرائيل لمخالفتها قرارات الأمم فذلك من وجهة نظر «هانتنجتون»

طبيعي !! إذ أن عالما تتصادم فيه الحضارات لابد أن يكون مزدوج المعايير . فالناس تطبق معياراً على بلد القرابة بينما تطبق معياراً مختلفاً على الآخرين [٥٥] !! كما أن عبارة «المجتمع الدولي» - كما يقرر المؤلف - أصبحت الاسم المهذب التعبير الذي حل محل «العالم الحر» ليعطي شرعية دولية للأعمال التي تعكس مصالح الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى .. من هنا فمن المستحيل أن تصبح تركيا - مثلاً - عضواً في الجماعة الأوربية . فالسبب الحقيقي ما أعلنه الرئيس أوزال حينما قال «إننا مسلمون وهم مسيحيون ولكنهم لا يقولون ذلك» [٥٦] .

وقد أثارت هذه الآراء العديد من المفكرين في الشرق والغرب معاً نظراً للصورة السلبية التي يقدمها «هانتنجتون» عن المسلمين بشكل عام ، والتي تخلط بين الإسلام من جهة وبين سلوك بعض المسلمين من جهة أخرى ، وتلصق الجرائم باسم الإسلام دون إشارة إلى أن مثل هذه الممارسات مرفوضة على المستوى الإسلامي وأنها لا تمت للدين بصلة .

فهذا فؤاد عجمي في مقال بعنوان «الاستدعاء» Summoning ينتقد هانتنجتون الذي يصب جام غضبه على الحضارات الأخرى ، وفي مقدمتها الإسلام ، بينما يجد حضاراته - الغربية - سليمة لم يمسها أذى أو سوء [٥٧] ومن الزاوية نفسها ينظر كيشور محبوباني Kishore Mahbubani إلى آراء هانتنجتون المتحيزة ، في مقال بعنوان «أخطار التدهور : ما يمكن أن يعلمه باقي العالم للغرب» منتقداً مقولته «إن الإسلام له حدود دموية» إذ أن فيها عنصرية وغض طرف منه عن «أن الصراعات بين المسلمين والقوى الموالية للغرب يخسرها المسلمون خسارة فادحة ، سواء كانوا مسلمين أو أذربيجانيين أو فلسطينيين أو بوسنيين أو ايرانيين أو عراقيين» [٥٨] وأن التهديد المزعوم الذي يمثله الإسلام للغرب إنما في ذهن المؤلف فقط .

الغريب أن «هانتنجتون» لم يتخل عن أفكاره المتعصبة ضد الإسلام حتى عندما زار الشرق «المملكة العربية السعودية» ونوقش في أفكاره ، بل زاد عليها أنه عندما يتحدث في كتابه الجديد عن العمليات الإرهابية فإنه يعطيها صفة «الإرهاب الإسلامي» [٥٩] دون تفرقة بين ما هو إسلامي وما هو غير إسلامي !!.

٢ - الدراسات الميدانية :

ونمثلها دراسة أحمد بن سيف الدين تركستاني « صورة المملكة العربية السعودية في أذهان الكنديين » .. دراسة ميدانية في الصورة الذهنية وإسهام وسائل الإعلام في تكوينها [٦٠] نظراً للاعتبارات التالية :

- أنها تمت على عينة من دولة «كندا» غير استعمارية ، إذ لم يسبق لها أن استعمرت بلداً آخر ، بل وقع عليها الاستعمار الانجليزي والفرنسي مع أنها دولة غربية ، ومن هنا فالصورة الذهنية لأهلها عن الإسلام والمسلمين بشكل عام تتشكل - غالباً - عبر وسائل الإعلام أو الاحتكاك المباشر .

- إن المملكة العربية السعودية بها قبلة المسلمين ، ولم يتم استعمارها منذ نشأتها ، وعلاقاتها مع غيرها من الدول - ومنها كندا - مبنية على الاستقلالية وعدم التدخل في شئون الآخرين .

ومن هنا فالصورة من المفروض أن تَبدو أكثر حيادية وغير تصادمية وتعكس تصورات الإعلام عن المسلمين والعرب بشكل عام باعتباره من أهم المؤثرات في تكوين هذه الصورة .

- اختار الباحث - أحمد بن سيف الدين تركستاني - مدينة مونتريال عاصمة مقاطعة كيوبيك بكندا لكونها أكبر المدن الكندية وتجمع عدداً من الأصول العرقية المختلفة ، وأجريت هذه الدراسة الميدانية في صيف (١٤١٧هـ / ١٩٩٦) ، ورغم أن أكثر من نصف عينة الدراسة من أصول غير أوربية (عربية / أفريقية / آسيوية) و ١٧٪ منهم من المسلمين ، وأغلبهم من الطلاب (٧٩٪) ، إلا أن ٧١٪ منهم ذكر أنه لم يقرأ عن المملكة العربية السعودية [٦١] وأن ما تشتهر به المملكة على التوالي هو : النفط ، والإسلام ، والصحراء ، وحرب الخليج ، والإرهاب ، والقصص الخيالية ، والتضييق على النساء ... الخ ، وأن ما يذكر به اسم المملكة لدى أفراد العينة : حرب الخليج ، والإسلام، والنفط ، والصحراء ، وفيلم (الورانس العرب) ، والإرهاب والقسوة ، وعدم احترام النساء [٦٢] .

أما مصادر معلومات أفراد العينة عن المملكة فقد جاءت على الوجه التالي [٦٣] :

التلفاز / وسائل الإعلام / الصحف / الأصدقاء / المجلات / المواد الدراسية / المعارض السعودية والكتب / القصص الأدبية ... الخ .

وهذا يوضح أهمية وسائل الإعلام في صنع الصورة الذهنية رغم تضمين محتوى هذه الوسائل - غالباً - أحكاماً مسبقة عن القضايا المتضمنة كاستخدامها تعبير «الإرهابيين» لمن يعتبرون في بلادهم مقاتلين في سبيل الحرية ، وحديثها عن أي ارتفاع في أسعار

البترول كأنه ابتزاز ، بينما حديثها عن بيع الأسلحة للدول النامية بأسعار غالية نهر انتصار للتسويق الماهر وللتكنولوجيا الصناعية [٦٤] !!

٢ - المؤتمرات الدولية عن الإعلام العربي والغرب :

ويمثلها المؤتمر الدولي السادس حول الإعلام العربي والأوربي The Sixth International Conference On Euri / Arab Media,Dialogue For The Future. والذي استضافته البحرين في الفترة من : ٢٢ : ٢٥ من فبراير ١٩٩٨ وذلك للتالي :

- حداثة هذا المؤتمر ، مما يجعله يضم وجهات نظر أقرب إلى الواقع الحالي للصورة الذهنية للإسلام والمسلمين في الغرب .

- ضمه شخصيات غربية مهمة شاركت في مؤتمرات متعددة عن الصورة الذهنية والحوار العربي / الأوربي ، مما يجعل بعض الأفكار المطروحة تتمة لمؤتمرات ولقاءات سابقة حول الموضوع نفسه ، ومنها «المنعقدة في لندن عام ١٩٧٩م .. في ورقته إلى المؤتمر يعترف البريطاني سيرسيريل تاونسيند Sir Cyrit Townsend أن الصحافة الغربية بمثابة مشروعات تجارية تجري وراء الأخبار السيئة طبقاً للقاعدة الذهنية لدى أغلبها bad news is good news كما تجري وراء المآسي والفضائح والقصص الرخيصة وغير الأخلاقية أكثر من اهتمامها بقضايا التدهور البيئي والنمو السكاني والآثار النفسية لأي صراع [٦٥] ومن هنا فقد أصبحت الآراء المقولبة Stereotyping عن العرب والمسلمين ظاهرة في الإعلام الغربي على الدوام ولا تزال كما هي في الوقت الحالي على الرغم من تقلص شيوع بعض التصورات السلبية مثل [٦٦] :

- الوحشية الموجودة داخل الشباب الطويلة المتدلية .

- شيوخ النفط الأغنياء السمان المسرفين .

- أن العرب غير أكفاء .

- النظر إلى العرب على أنهم «إرهابيون» يمارسون العنف ، كما يعترف تاونسيند أن صورة المسلمين قد تشوهت في السنوات الأخيرة - أيضاً - أكثر من العرب إذ ظهر مصطلح جديد في المملكة المتحدة هو Islamophobia «الخوف من الإسلام» [٦٧] أصبح له تأثيره على التغطية الإعلامية لوسائل الإعلام ومنها حادث « انفجار أوكلاهوما » .

وفي ألمانيا لا يختلف الحال عنه في بريطانيا . فصورة الإسلام والعالم الإسلامي أو السيادة الإسلامية سلبية تماماً كما يقرر البروفسير ايدو شتاينباخ Udo Steinbach وأن هذه الصورة السلبية تسيطر في ألمانيا داخل وخارج وسائل الإعلام ، لدرجة أن هذه الصور قد حلت محل الصور السلبية للشيوعية . إذ يشار عند ذكر الإسلام والمسلمين إلى «الثيوقراطية» و«تعدد الزوجات» و «التعصب» و «الاستبدادية» وقد ظهر هذا التعصب واضحاً حتى ضد الألمانيين أنفسهم المهتمين بالإسلام . إذ وجهت مؤسسة pen Center إلى الرئيس الألماني رومان هيرتسوج Roman Herzg تعترض فيه على حصول المستشرقة المتخصصة في الدراسات الشرقية «ومنها الإسلام» أني ماري شميل Anne Marie Scimmel على جائزة السلام في عام ١٩٩٥م [٦٨] !!! على أساس أنها تهتم بقيم غير إنسانية على الإطلاق .

أما الفرنسي أوليفيه دالاج Olivier Da Lage الصحفي في إذاعة فرنسا الدولية ، فيحذر من التعميم سواء على المسلمين أو غيرهم ، وينتقد ما قدمه صمويل هانتنجتون في أطروحته «صدام الحضارات» على أساس أن الصدام ليس حتمياً بين الشرق والغرب في إطار الفضاء الإعلامي الواسع الذي يعطي المراقب الخارجي فرصة مضاعفة جهوده لتقديم صورة عن العالم العربي تفلت من التعطيات والتبسيطات أو الطابع الكاريكاتوري [٦٩] وإزاء هذه الصور القاتمة عن الإسلام والمسلمين - كما عرضها اختصاصيون غربيون - يرى الشيخ محفوظ نحناح «رئيس حركة مجتمع المسلمين بالجزائر» [٧٠] أن الإعلام الغربي الموجه لأغراض السياسة قد شوه المشترك وخلق أسطورة الإرهاب وظل يغذيها وينسج خيوطها عبر حملات من الظواهر ، منها ظهرة العنف ووصف الموروث الديني على أنه تخلف ويدعو إلى سفك الدماء . وفي هذا ظلم كبير للإسلام وللمسلمين وللعرب .. وتعددت الطروحات للقضاء على ظاهرة التميز والكيل بمكيالين . ومنها ميثاق شرف إعلامي عربي / أوربي [٧١] لسد الفجوة بين العالم الإسلامي والغرب .

٤ - الإبداع الأدبي المعاصر المناهض للإسلام والمسلمين :

إذ تحظى الرواية والقصة من بين الفنون الأدبية في الغرب برواج واسع يترك أثراً في صياغة أفكار الشعوب واتجاهاتها ومواقفها [٧٢] ومن الأعمال الأدبية التي شاعت مؤخراً في الغرب رواية « آيات شيطانية » لمؤلفها المسلم هندي الأصل وبريطاني الجنسية سلمان رشدي ؛ التي نشرها بالإنجليزية في المملكة المتحدة عام ١٩٨٨م . إذا انتشرت الرواية

بسرعة رهيبة وزاد الكلام عنها بشكل ملفت بعد إصدار فتوى إيرانية بإهدار دم مؤلفها : إذ أن مثل هذه الأخبار تستأثر على اهتمام وتفكير الناس في الغرب وتصنع العناوين الرئيسية للصحف [٧٣] خاصة وأن الرواية «عالجت الإسلام باللغة الإنجليزية من أجل جمهور يعتقد أنه في الغالب غربي» [٧٤] .

تبدأ الرواية بسقوط طائرة أثناء رحلتها من الهند إلى بريطانيا حيث انفجرت وتناثرت فوق القنال الإنجليزي وينجو منها رجلان من ركابها: جبريل فارشتا ممثل السينما الهندية المشهور وصلاح الدين شمتا الممثل البريطاني من أصل هندي «والمقصود به المؤلف» .. ويدخل المؤلف الإسرائيليات في العمل الذي يشخص به حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . منها تلاوته الآية الكريمة : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ «سورة النجم» ثم يضيف من عنده ما زعمته الإسرائيليات من أن النبي أراد إرضاء الكفار فأكمل «تلك الغرانيق العلى . وأن شفاعتهن لترتضى» [٧٥] .

ويتعرض سلمان رشدي للعهد الإسلامي الأول . فالنبي اسمه «ماهاوند» ومكة هي «مدينة الجاهلية» وأبو سفيان «عظيم الجاهلية» و «في ليلة الاحتفال بعيد إبراهيم تعلق القصائد السبع على جدار بيت الحجر الأسود . وتحل العاهرات محل الشعراء ليبدأ غناؤهن لاجتلاب الزبائن» [٧٦] ويستمر في القص على طريقته المغرضة موضحاً كيف « أن أتباع دين الخنوع الإسلام عندما وجدوا أنفسهم في واحة يشرب فقراء منقسمين فقد راحوا يهاجمون قوافل الأغنياء من مدينة الجاهلية . ويسلبون بضائعهم . ولم يعترض ماهاوند على ذلك لأن الغاية عنده تبرر الوسيلة . ثم بعد ذلك وجد نفسه مضطراً لسن القوانين والتشريعات بحيث بالغ في ذلك كثيراً ووضع القيود والقوانين التي تحدد المسائل . مثل : ماذا يفعل الإنسان إذا ضرط ؟ وأي يد يستخدم في تنظيف مؤخرته ؟ [٧٧] ولم تسلم الملائكة من هذه الخرافات . حتى نساء النبي صورهن على أنهن «داعرات يعملن بأسمائهن في ماخور لجلب الزبائن» [٧٨] . وهذا التصوير «الشيطاني» الغريب للسيرة النبوية والتشوهات المتعمدة ضد الرموز الإسلامية وجدت من المسلمين - للأسف - من يدافع عنها ويصفها بأنها « تتناول الدين بروح نهضوية نقدية تقدمية ساخرة تطلب الكشف وتسعى إلى التنوير وتميل إلى الهدم والإصلاح والعمل على توسيع الأفق » [٧٩] وأن سلمان رشدي وهو يؤلف هذا الكتاب « كان يعرف جيداً مدى تعصب الإسلام والمسلمين ومستوى تزمتهم الشديد ورفضهم المتعنت للمناقشة والنقد وحرية الفكر والتسامح » [٨٠] ثم يهون على

المؤلف قائلاً أن « من يتحرش بالأوباش وبخاصة إذا كان منهم عليه أن يتوقع ردود فعل الأوباش ويحمل مسئولية تحرشاته » [٨١] !!!

هذا في الوقت الذي عرض الرواية «لإهانتها الشديدة والواضحة للإسلام والمسلمين» عدد من الرموز الدينية غير الإسلامية ؛ منهم [٨٢] :

- الكاردنيال أوكرونر أسقف نيويورك وأبرز شخصية كاثوليكية في الولايات المتحدة الأمريكية .
- الفاتيكان .
- الحقوقي البريطاني الشهير اللورد هارتكي شوكروس الذي اتهم المؤلف بالإساءة إلى الحرية .
- المؤتمر السنوي للأساقفة الكاثوليك في أمريكا وغيرهم . في الوقت الذي نجد فيه بعض المنتسبين إلى الإسلام يدافعون عن هذه البذاءات ..!!

كيف تتحسن الصورة الذهنية للعالم الإسلامي عند الغربيين ؟ :

الحملة المعادية للإسلام والمسلمين في العالم الغربي تدعو إلى « شيطنة » Devilis Ation الإسلام وأسلمه islamisation الإرهاب . فما أن تحدث حادثة حتى تتجه أصابع الاتهام إلى المسلمين والعرب [٨٣] فها هو الغرب ينظر إلى الإسلام على أنه يقدم « تلويناً مفيداً نافعاً لأية عصابة من الإرهابيين أو المرابين الذين يسعون للوصول إلى السلطة » [٨٤] فعلى مدى عقود عديدة ما تزال تُشن في أمريكا - مثلاً - حرب ثقافية ضد العرب والإسلام ابتداء من الكتب الدراسية [٨٥] والسينما والمسرح مروراً بـ «الشخوصات الكاريكاتورية المروعة للعرب والمسلمين بأنهم إما جسبعاً إرهابيون أو شبوخ نفط ، وأن المنطقة خراب قاحل لا يصلح لشئ إلا لجني الأرباح والحرب » [٨٦] وصولاً إلى الكتب الفورية التافهة التي كتبها صحفيون وروجت وأشاعت بضعة نماذج تنميطية تنزع عن الإنسان إنسانيته ، وتبرز جميعها العرب بوصفهم تنويعاً أو آخر على القتلة والسفاحين [٨٧] لدرجة حذر منها بعض المنصفين من أن مقولة مثل « صدام الحضارات » لهانتنجتون ما هي إلا دعوة لإحداث صدام فعلي مع الحضارة الإسلامية [٨٨] .

وإزاء هذه الصورة الذهنية القاتمة التي يحملها الغرب للإسلام ، تبقى المهمة ثقيلة في تقديم الصورة الصحيحة عن العرب والمسلمين بشكل عام ، وسوف يساعد على ذلك ما يلي :

١ - وجود إعلام عربي / إسلامي فاعل على المستوى العالمي . ليس مجرد ردود أفعال لكن بشكل مستمر ومستديم الحضور .

٢ - وتصحيح بعض السلوكيات العربية الخاطئة سواء على مستوى الدول أو الجماعات أو الأفراد .

٣ - استضافة أجهزة الإعلام العالمية وتحريرها . وفتح المجال أمامهم للرؤية والمعرفة باستخدام سياسة الباب المفتوح إعلامياً .

٤ - الانفتاح الإعلامي « العربي / الإسلامي » على العالم في ظل السماوات المفتوحة [٨٩] .

٥ - الدخول مع الغرب في اتفاقيات إعلامية للقضاء على ظاهرة التحيز والكيل بمكيالين .

هوامش

١ - حامد ربيع : الإسلام والقوى الدولية ، ط١ القاهرة ، دار الموقف العربي ١٩١٨ ، ص٤٤ .

٢ - إدوارد سعيد : الاستشراق ط٢ ، تعريب : كمال أبو ديب ، بيروت ، لبنان ، مؤسسة الأبحاث العربية ١٩٨٤م ص٣٠٠ .

٣ - برتراند راسل : حكمة الغرب جـ١ ترجمة : فؤاد زكريا ، سلسلة « عالم المعرفة » العدد ٦٢ الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : ربيع الثاني ١٤٠٣هـ/ فبراير (شباط) ١٩٨٣م ، ص٢٨١ .

٤ - شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، القسم الثاني ، ترجمة حسين مؤنس ، وإحسان صدقي العمد ، سلسلة « عالم المعرفة » ، العدد (١١) ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ذو القعدة ١٣٩٨هـ / نوفمبر « تشرين الثاني » ١٩٧٨م ص٩٣ .

٥ - حامد ربيع : مرجع سابق ، ص٩ .

* استمرت هذه الحروب في الفترة من (٤٩٠ - ٦٨٦هـ / ١١٠٥ / ١٢٩١م) في ثماني موجات متلاحقة وصاحبها عدد من المستشرقين .

راجع :

- حسين أحمد أمين : الحروب الصليبية : في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٣ ، من ص٢٥ .

- نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود : المستشرقون ط١ الرياض ، دار أمية للنشر والتوزيع ١٤١٤هـ ص٥٩ : ٧٨ .

- أمين معلوف : الحروب الصليبية : كما رآها العرب ط١ ترجمة عفيف دمشقية ، بيروت دار الفارابي ١٩٨٩م .

٦ - ليلى عنان : الحملة الفرنسية : بين الأسطورة والحقيقة : كتاب الهلال : العدد ٥٠٠ ، القاهرة ، دار الهلال : أغسطس ١٩٩٢ ص٢٥ .

- نيكوس كازانتزاكيس : رحلة إلى مصر : الوادي وسينا ، ، كتاب أدب ونقد ، العدد الأول ، ترجمة محمد الظاهر ومنية سمارة القاهرة ١٩٩١ ، ص٩٨ ، وهي يومياته

التي كتبها بين عامي ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ للجريدة البوناتية (البخيثروس لوغوس) قبل نشوء إسرائيل بعشرين عاماً ، وسيادة الروح اليهودية في كتاباته وكيف أن - اليهود » حكموا العالم من خلال فضائلهم ، وهم بحاجة ماسة مرة أخرى لأن يكونوا شعب الله المختار » !!! .

- قاسم أمين : المصريون ، كتاب الهلال ، العدد ٧٤٥ ، سبتمبر ١٩٩٥ ص٢٣ والذي يرد فيه على رؤية الغرب للإسلام وما ردده Duc Dharcourt في كتابه الذي أرجع فيه تخلف مصر الاجتماعي إلى الإسلام والثقافة الإسلامية ، وتأكيد قاسم أمين على ما يتضمنه الإسلام من عدل وإخاء ، وتسامح وحرص على طلب العلم وإعلاء قيمة التعليم .

٧ - علي حسني الخربوطلي : المستشرقون : والتاريخ الإسلامي : سلسلة تاريخ المصريين، العدد (١٥) القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ ، ص١٢ .

٨ - مصطفى الفقي : الإسلام في عالم متغير ، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ ، ص٩٩ ، ١٠٣ .

9 - Sir Cyril Townsend," Media Coverage of Arabs In Europe," The Sixth International Conference On Euro/Araab Media, Dialogue For The Future Bahrain, 23-25, Fab1998, p. 3.

١٠ - إدوارد سعيد : الثقافة والإمبريالية : ط١ تعريب : كمال أبو ديب : بيروت : دار الآداب ١٩٩٧ ، ص٣٥٧ .

١١ - راجع :

- عبد القادر طاش : صورة الإسلام في الإعلام الغربي : ط٢ القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص٢٠ وما بعدها .

- علي عجوة : الأسس العلمية للعلاقات العامة : ط٢ القاهرة : عالم الكتب ١٩٨٣م، ص١٤٥ .

- فهد بن عبد العزيز العسكر : الصورة الذهنية : ط١ الرياض : دار طويق ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ص١٢ وما بعدها .

- محمود يوسف : « العوامل المؤثرة في تكوين الصورة الذهنية لأجهزة الشرطة »

مجلة الأمن ، العدد السادس ، المملكة العربية السعودية ، وزارة الداخلية : ربيع الأول ١٤١٣هـ ص١٠ .

- ل . جون مارتن : انجرجروفر شودري : نظم الإعلام المقارنة ، ط١ ترجمة علي درويش ، القاهرة : الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩٣ ص١٩١ .

14 - Steven Paterson, Political Behavior Patterns in Everyday, N. y., Newbury Park : 1990, P 229 .

١٥ - محمد بن سعود البشر : مقدمة في الاتصال السياسي : ط١ الرياض ، العبيكان : ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص٥٤ .

- محمد عبد الرحمن الخضيف : كيف تؤثر وسائل الإعلام : ط١ ، الرياض مكتبة العبيكان ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ص٣٢ .

- دنيس ماكويل : الإعلام وتأثيراته ، ط١ تعريب : عثمان العربي ، الرياض ، مطبعة دار طيبة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص١٧٩ .

١٦ - إنعام كجه جي " الفرنسيون يعرفون من العرب الشاب خالد وعرفات وصدام " صحيفة " الشرق الأوسط " لندن ، الشركة السعودية للأبحاث والنشر ، ٦ ديسمبر ١٩٩٧ ، ص الأخيرة .

١٧ - أحمد بن سيف الدين تركستاني : صورة المملكة العربية السعودية في أذهان الكنديين : دراسة ميدانية في الصورة الذهنية ، بحث غير منشور : محرم ١٤١٨هـ/ يونية ١٩٩٧م ، ص٤٤ وما بعدها .

١٨ - محمد علي العويني : " الصورة النمطية والسياسة الخارجية " مجلة " الدراسات الإعلامية " العدد (٥١) أبريل / يونيو ١٩٨٨م ، ص٩٧ .

١٩ - عبد القادر طاش : دراسات إعلامية ، ط١ ، الرياض ، دار الصافي للثقافة والنشر ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص١١٠ .

- سامي الخزندار : المسلمون والأوربيون - نحو نقاش أفضل ، ط١ ، الإمارات ، أبو ظبي ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية .

٢٠ - فرانسيس فوكوياما : نهاية التاريخ : وخاتم البشر : ط١ ترجمة حسين أحمد أمين ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص٢١٠ .

٢١ - السابق نفسه : ص٥٧ .

٢٢ - إدوارد سعيد : الثقافة الإمبريالية : مرجع سابق : ص٣١٥ .

٢٣ - فاروق أبو زيد : « الإعلام الدولي وتطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات » مجلة الدراسات الدبلوماسية : العدد الثامن : الرياض ، معهد الدراسات الدبلوماسية ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص١٣٨ .

** تعد " Cable News Net Work " C. N. N. من أهم الشبكات المرئية التي غطت حرب الخليج (الكويت / العراق) بل إن أول خبر عن حرب تحرير الكويت جاء من مراسل هذه الشبكة في فندق الرشيد ببغداد .

٢٤ - في ١٢ من مارس ١٩٩٨م . وقد ذكرت النشرة تحت عنوان You Know You,ve In EGYPT عندما تعتبر أن سقوط قطرات قليلة من المطر مطر غزير .

- عندما تنادي على النمل في علبة السكر بالاسم .
- عندما تداعب الأغنام في الشارع ... الخ !!!

راجع :

- مجلة « روز اليوسف » ، العدد (٤٦٤١) في ١٩٧٨/٣/٢٣م ، «وثيقة من داخل السفارة الأمريكية : إهانة المصريين !!.. وقد اعتذرت السفارة في العدد الثاني مباشرة من المجلة .

25 - Gearge W. ball,Dauglas B.Ball. The Passionate Attachment : America, S Involvement The Present : U.S.A: 1994. PP. 221-235.

٢٦ - بيل جيتس : المعلوماتية بعد الإنترنت ، ترجمة : عبد السلام رضوان ، سلسلة عالم المعرفة (٢٣١) ، الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : ذو القعدة ١٤١٨هـ / مارس (آذار) ١٩٩٨م . ص ١٤٧ .

٢٧ - محمد السيد سعيد : الشركات عابرة القومية ، سلسلة عالم المعرفة (١٠٧) ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : صفر ١٤٠٧هـ / نوفمبر « تشرين الثاني » ١٩٨٦م . ص ٩٧ .

٢٨ - هربرت شيللر : الاتصال والهيمنة الثقافية ، ترجمة وجيه سمعان ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٩٣م ص ١٣ .

٢٩ - عبد القادر طاش : صورة الإسلام في الإعلام الغربي ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

٣٠ - دليب هيرو : الأصولية الإسلامية في العصر الحديث ، ترجمة : عبد الحميد فهمي الجمال ، سلسلة تاريخ المصريين (١٠٧) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م ، ص ٩١ . و : أرنولد توينبي ، العالم والغرب ، ترجمة : عبد الواحد الإنبابي ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للأنباء والنشر والتوزيع والطباعة ، د.ت ، ص ١٩ .

٣١ - نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود : مرجع سابق ، ص ٥٩ وما بعدها .

٣٢ - دليب هيرو : مرجع سابق ، ص ٢٩٨ وما بعدها .

٣٣ - توماس و. ليبمان : جماعات الإسلام السياسي : رؤية أمريكية وثائقية ، ط (١) ترجمة رفعت سيد أحمد ، طلعت غنيم القاهرة ، بافا للنشر والتوزيع : ١٩٨٩ ص ٨ م :

Samuel O. Huntington, " The Clash of Civilizations " , Foreign Affairs, Volume 72, No. 3. U.S.A. Summer 1993, P. 31.

٣٤ - علي حسن الخربوطلي : مرجع سابق ، ص ٢٢ .

٣٥ - محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، كتاب الأمة، العدد (٥) ، ط ٢ ، قطر ، المحاكم الشرعية والشئون الدينية : صفر ١٤١٤هـ ص ١١٤ .

٣٦ - المرجع السابق : ص ١١٥ .

٣٧ - علي حسني الخربوطلي : مرجع سابق ، ص ٣١ .

٣٨ - محمود حمدي زقزوق : مرجع سابق ، ص ٧٢ . و : أدوارد سعيد : الاستشراق ، ص ٢٦٥ .

٣٩ - علي حسني الخربوطلي : مرجع سابق ، ص ٣٣ . و : نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود : مرجع سابق ، ص ٧٧ وما بعدها . و : نجيب العقيقي : المستشرقون ، جـ ٢ ، ص (٣) ، دار المعارف : ١٩٦٥م .

وقد تعددت الترجمات لمعاني القرآن الكريم حتى أحدث ترجمة معاصرة لـ :

Majid Fakhry, The Qur,an:A Madern English Version, London, Gamet Publishing : 1997.

ويتم تأويل هذه المعاني لتخدم أغراض المستشرقين ودعاياتهم المضللة ضد المسلمين بشكل عام .

٤٠ - إدوارد سعيد : الاستشراق ، ص ٣٨١ .

٤١ - السابق : ص ٤٨١ .

٤٢ - راجع :

- جون وينتر جونز : رحلات فارتيما : الحاج يونس المصري ، سلسلة الألف كتاب الثاني ، العدد (١٣٤) ترجمة وتعليق : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- و : جوهان لودفيج بوركهارت : مواد لتاريخ الوهابيين ، ترجمة عبد الله الصالح العثيمين ، الرياض ، جامعة الملك سعود : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

- و : سشبر عطا الله : قافلة الحبر : الرحالة الغربيون (١) الجزيرة والخليج "1762-1950" لندن ، دار رياض الريس : ١٩٩٤م .

٤٣ - رشا حمود الصباح : « التصورات الأوربية للإسلام في العصور الوسطى » ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الحادي عشر ، العدد الثالث ، الكويت ، وزارة الإعلام : أكتوبر / نوفمبر / ديسمبر ١٩٨٠ ، ص ٩٠ .

- و : مرعي مدكور : الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الإعلامي الدولي ، ط (١) ، المغرب ، رابطة الجامعات الإسلامية : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ص ٧٤ وما بعدها .

٤٤ - عبد القادر طاش : صورة الإسلام في العالم الغربي ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .

٤٥ - مصطفى الفقي : مرجع سابق ، ص ٧٢ .

*** راجع :

- معين بسيسو : نماذج من الرواية الإسرائيلية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر Lt Yael Dayan, A Soldiers Diary, L Lonodon, Windfld Wenkilson : 1967 وهي المذكرات التي روت فيها قصة إلتحاقها بفرقة الجنرال شارون الذي أصبح زوجاً لها .

٤٦ - حسن حنفي : « الغرب مصدر للعلم أم موضوعاً للعلم » ، صحيفة « الشرق الأوسط » ، العدد (٥٣٧٨) ١٩٩٣/٨/١٩م ، ص ١٠ .

٤٧ - أحمد بن سيف الدين تركستاني : مرجع سابق ، ص ٢١ وما بعدها .

٤٨ - هربرت شيللر : المتلاعبون بالعقول ، عالم المعرفة ، العدد (١٠٦) ترجمة عبد السلام رضوان ، الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ص ١٤٢ .

- و : هربرت شيللر : الاتصال والهيمنة الثقافية ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

49 - Foreign Affairs, U.S.A. : Spetember/October, 1993.

50 - Samuel P. Huntington, The Clash of Civilivation and Remarking of world Order, U.S.A Simo & Schuster: 1996.

51 - Samuel P. Huntington, "The Clash of Lilivizations", Foretgn Affairs, Op. Cit., p. 32.

52 - Ibid, p. 31.

53 - Ibid, p. 35.

54 - Ibdi, p. 31.

55 - Ibdi, p. 36.

56 - Ibdi, p. 42.

57 - Fouad Ajami, "The summoning", Foreign Affairs: September/October 1993., Op. Cit., p. 2.

58 - Kishore Mohbuani, "The Dangers of Decadence", Ibid., p. 12.

59 - Samuel P. Huntington, The Ciach of Livilization and Remarking of world, Op. Cit., p. 258.

٦٠ - أحمد بن سيف الدين تركستاني ، مرجع سابق .

٦١ - المرجع السابق ، ص ٤٧ .

٦٢ - المرجع السابق ، ٥٨ .

٦٣ - المرجع السابق ، ص ٦١ .

٦٤ - السير توماس هويكنسون ، «معايير عامليه لوسائل الإعلام» ، الإعلام الغربي والعرب ، أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية ، لندن ١٩٧٩ ، طباعة وزارة الإعلام والثقافة بدولة الإمارات العربية المتحدة ، ص ٣٩ .

65 - Sir Cyril Towasend, Op. Cit., p. 1.

66 - Ibid., p. 2:3.

67 - Udo Steinbach, "The Preception Of Islam In The Media And Pub; ic In Germany", Op. Cit., p. 3.

68 - Ibid. p. 1.

٦٩ - أوليفيه دا لاج «الإعلام الأوربي وقضايا الهوية الثقافية» ورقة إلى المؤتمر السابق . ص ١ .

٧٠ - محفوظ نحناح : «دور الإعلام العربي الأوربي في مواجهة العنف والإرهاب والتعطية» ورقة إلى المؤتمر السابق ، ص ٣ ، ٤ .

٧١ - أحمد يوسف القرعي : «نحو ميثاق إعلامي عربي / أوربي» ، ورقة مقدمة إلى المؤتمر السابق ، ص ١ ، ٢ .

٧٢ - أحمد بن سيف الدين تركستاني : مرجع سابق ، ص ٢٢ .

- الرواية ممنوعة من دخول الدول العربية ، وبالتالي فقد اعتمدنا في عرضها على تعريب لها مجهول المصدر والمعرب والطابع ، وتتداول هذه النسخة المعربة - سراً - في مصر وفي أغلب الدول العربية .

73 - John Cookson, " Islam And The western Jouranalist ", The Sixth Lnternational Canference On Euro-Arab Media, Op. Cit., p. 3.

٧٤ - إدوارد سعيد : الثقافة والإمبريالية ، مرجع سابق ، ص ٣٦٢ ، وهناك مئات المقالات ترد على الرواية وعدة كتب ، منها :

- نبيل السمان : همزات شيطانية وسلمان رشدي ، الأردن ، دار عمار : ١٩٨٩م .

- شمس الدين القاسمي : آيات سماوية في الرد على كتاب آيات شيطانية ، القاهرة ، دار مايو الوطنية للنشر ك ١٩٨٩م .

- سعيد أيوب : شيطان الغرب ، سلمان رشدي : الرجل المارق ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨٩م .

٧٥ - سلمان رشدي : آيات شيطانية ، د. ناشر ، د. مترجم ، ص ٩٢ .

٧٦ - السابق ، ص ٩٣ .

٧٧ - السابق ، ص ٢٤٢ .

٧٨ - السابق ، ٢٥٧ .

٧٩ - صادق جلال العظيم : ذهنية التحريم : سلمان رشدي وحقيقة الأدب ، كتاب الناقد، ط (١) لندن : تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٢م ، ص ٤٠٠ .

٨٠ - السابق ، ص ٣٤١ .

٨١ - السابق ، ص ٣٤١ .

٨٢ - السابق ، ص ٢٩٣ : ٢٤١ .

٨٣ - محمد سلماوى : «شيطنة الإسلام وأسلمه الإرهاب !!» صحيفة «الأهرام» ، القاهرة، ١٩٩٨/٣/٢٣ ، ص ٢٤ .

٨٤ - توماس و. ليبمان ، مرجع سابق ، ص ٢١ .

٨٥ - إياد القزاز : «صورة الوطن العربى فى المدارس الثانوية الأمريكية» ، مجلة «المستقبل العربى» ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت : العدد (٢٦) نيسان، أبريل ١٩٨١ ، ص ٢٣ : ٣٦ .

٨٦ - إدوارد سعيد : الثقافة والإمبريالية ، مرجع سابق ، ص ٣٥٧ .

٨٧ - المرجع السابق ، ص ٣٥٧ .

٨٨ - روجية جارودى : فى محاضرته فى معرض القاهرة الدولى للكتاب ، مساء الأحد ١٨من شوال ١٤١٨هـ / ١٥ من نوفمبر ١٩٩٨م .

٨٩ - John Cookson, Op. Cit. p. 2 : 3 .

- ويذكر تجربته ، كصحفى غربى فى البلدان الإسلامية ، وما عاناه من عدم احترام للوقت المواعيد فقد انتظر ستة أيام كاملة - دون كلمة اعتذار - ليجرى حوارات مع أحد القادة العرب ، ومرة أخرى قطع مسافة ألف ميل فى الصحراء ليجرى مقابلة مع زعيم مسلم ، ثم تركه الزعيم فجأة ليلحق بمجموعة على ظهور الخيل .